ارادانه لا يخون بنعمة واراد نعم بالى ربها نعمة ربها فاسقط التنوين للاضافة
فان قيل فاي فرق بين هذا الوجه وبين تاويل من حمل الآية على انه اراد بها ثواب
ربها ناظرة بمعنى انها رائية لنعمه وثوابه قلنا ذلك الوجه يفتقر الى محذوف
لانه اذا جعل الى حرفا ولم يعلقها بالرب تعم فلا بد من تقدير محذوف وفي الجواب
الثاني الذي ذكرناه لا يفتقر الى تقدير محذوف لان الى فيه اسم تتعلق به الرؤية فلا
يحتاج الى تقدير غيره مجلس اخر تاويل اية ان قال قايل ما تقدير قوله تعم وما
كان لنفس ان تومن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون فظاهر هذا
الكلام يدل على ان الايمان انما كان لهم فعله باذنه وامره وليس هذا مذهبكم وان حمل
الاذن هنا على الارادة اقتضا ان من لم يقع منه الايمان لم يرده الله تعم منه وهذا
ايضا بخلاف قولكم ثم جعل الرجس الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ومن كان
فاقدا عقله لا يكون مكلفا فكيف يستحق العذاب وهو بالضد من الخبر المروي عن النبي
صلعم انه قال اكثر اهل الجنة البله والجواب يقال له في قوله تعم الا باذن الله وجوه
منها ان يكون الاذن الامر ويكون معنى الكلام ان الايمان لا يقع من احد الا بعد ان
ياذن الله فيه ويامر به ولا يكون معناه ما ظنه السايل من انه لا يكون للفاعل
فعله الا باذنه ويجري هذا مجرى قوله تعم وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
ومعلوم ان معنى قوله ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه وان كان الاشبه في
هذه الآية التي فيها ذكر الموت ان يكون المراد بالاذن العلم ومنها ان يكون الاذن
هو التوفيق والتيسير والتسهيل ولا شبهة في انه تعالى يوفق لفعل الايمان ويلطف فيه
ويسهل السبيل اليه ومنها ان يكون الاذن العلم من قولهم اذنت لكذا وكذا اذا
سمعته وعلمته واذنت فلانا كذا وكذا اذا اعلمته فيكون فايدة الآية الاخبار عن
علمه تعم بساير الكاينات وانه ممن لا تخفى عليه الخفيات وقد انكر بعض من لا بصيرة
له ان يكون الاذن بكسر الالف وتسكين الذال عبارة عن العلم وزعم ان الذي هو العلم
الاذن بالتحريك واستشهد بقول الشاعر انه في سماع واذن وليس الامر
على ما توهمه هذا المتوهم لان الاذن هو المصدر والاذن هو اسم الفعل ويجري
مجرى الحذر والحذر في انه مصدر والحذر بالتسكين الاسم على انه لو لم يكن مسموعا
الا الاذن بالتحريك لجاز التسكين مثل مثل ومثل وشبه وشبه ونظاير ذلك
كثيرة ومنها ان يكون الاذن العلم ومعناه اعلام الله المكلفين بفضل الايمان
وما يدعو الى فعله ويكون معنى الآية وما كان لنفس ان تومن الا باعلام الله لها
ما يبعثها على الايمان ويدعوها الى فعله فاما ما ظنه السايل دخول الارادة في محتمل

اللفظ

اللفظ فباطل لان الاذن لا يحتمل الارادة في اللغة ولو احتملها ايضا لم يوجب ما توهمه
لانه اذا قال ان الايمان لا يقع الا وانا مريد له فلم ينف ان يكون مريدا لما لم يقع
وليس في صريح الكلام ولا دلالته شي من ذلك فاما قوله ويجعل الرجس على الذين لا
يعقلون فلم يعن به الناقصي العقول وانما اراد الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب
عليهم من معرفة خالقهم تعالى والاعتراف بنبوة رسله عليهم السلام والانقياد الى طاعتهم
ووصفهم بانهم لا يعقلون تشبيها كما قال الله تعم صم بكم عمي وكما يصف احدنا من لم
يفطن لبعض الامور او لم يعلم ما هو مامور بعلمه بالجنون وفقد العقل فاما الحديث
الذي اورده السايل شاهدا له فقد قيل فيه انه عم لم يرد بالبله ذوي الغفلة والجنون
وانما اراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلها عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه
لا من حيث فقدوا العلم به ووجه تشبيه من هذه حالته بالابله ظاهر فان الابله عن
الشي هو الذي لا يعرضه ولا يقصد اليه واذا كان المتنزه عن الشر معرضا عنه هاجرا
لفعله جاز ان يوصف بالبله للفايدة التي ذكرناها ويشهد بهذا التاويل قول الشاعر
ولقد لهوت بطفلة ميالة بلها تطلعني على اسرارها اراد بها بلهها عن الشر
والريبة وان كانت فطنة لغيرها وقال ابو النجم العجلي من كل عجزا سقوط البرقع
بلها لم تحفظ ولم تضيع اراد بالبله ما ذكرناه فاما قوله سقوط البرقع فاراد
انها تبرز وجهها ولا تستره ثقة بحسنه وادلالا بجماله وقوله لم تحفظ اراد ان
استقامة طرايقها تغني عن حفظها وانها لعفافها ونزاهتها غير محتاجة الى مسدد وموقف
وقوله لم تضيع اراد به انها لم تهمل في اغذيتها وتنعيمها وترفيهها فيشبه قول مثل
قوله سقوط البرقع قول الشاعر ولما توافينا وسلمت اسفرت
وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا ومثله بها شرف من زعفران وعنبر
اطارت من الحسن الردا المحبرا اي رمت بردعها ثقة بالجمال والكمال ومثله
لهونا بمنحول البراقع حقبة فما بال دهر لزنا بالوصاوص اراد
بمنحول البراقع اللواتي يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ومثله الطفلة
النجلا والعين النجلا ثم قال ما بال دهر احوجنا واضطرنا الى القباح اللواتي
يضيقن عيون براقعهن لقبحهن والوصاوص هي النقب الصغار في البراقع
ومما يشهد بالوصف الاول اي هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن
الدمينة باهلي وما لي من اذا اعرضواله ببعض الاذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البري ولم تزل به سكتة حتى يقال مريب ومثله